الفصل الرابع
"المهمة"

مشَت جنّة خلف سامر، وجسدها يتقلص منتفضًا من الخوف حتى وصلا إلى باب موصد لغرفة ما، فتحها سامر قائلًا بسخرية، واشمئزاز يعتلِي فمه:

- اتفضلي يا... برنسيسة!

طالعَتْهُ جنة بنظرات ريبة وتوجس، ثم دخلت بخطوات وئيدة، وما لبثت أن سمعت صوت ارتطام الباب من خلفها قويًا يعصف بأذنيها كرعد ضَرَب السماء؛ فانتفضت تضمّ جسدها بذراعيها النحيلين، فقد كان الجو باردًا، وقلقها يزيدها برودة؛ حتى باتت لا تشعر بأوصالها.

*****

انتهى هشام من تناول طعامه، ودلف إلى غرفته موصدًا الباب من خلفه.. اتجه إلى أحد جدران الغرفة المواجه لمكتبه، وقد ثَبَّتَ عليه لوحًا خشبيًا بغطاء خشبي رُسم عليه لوحة فنية، فتح الغطاء ليظهر اللوح الخشبي مكسوًا بفرخ ورقي مثبّتٌ عليه صورٌ لأشخاص يربط ما بينهم أسهم قد رُسمت بغاية محددة، وعليها بعض الملاحظات، أخرج هشام من جيبه صورة تأمّلَها بعناية قبل أن يثبتها باللوح الخشبي، كانت جنّة في تلك الصورة تتمتّع بحيوية تنشدها ضحكتها وأَلْقُ عينيها الداكنتين الكاحلتين، وبعد أن أَحْكَم هشام تثبيت الصورة التقط قلمًا ملونًا عريضًا، ورسَمَ سهمًا يصِل بينها وبين

كارولين، وسهمًا آخر بينها وبين شخص آخر قد وضعه هشام حديثًا في دائرة الاشتباه، ووصَّل بين الثالوث بأسهم تحمل رموزًا هو وحده يدرك معناها مسترجعًا بذاكرته إلى ذلك اليوم الذي وكِّلت إليه هذه المهمة.

#عودة_إلى_الماضي

في أحد الأيام طلب اللواء منير ثروت حضور الرائد هشام العجمي، والنقيب سامر حسان، والنقيب جمال بشير في اجتماع عاجل، راح الثلاثة رجال اجتماعَهُم يضربون كفًا بكفٍ، لا يدرون مغزى الأمر الطارئ فجأة، لكن فضولهم البوليسيّ كان يحركهم بحماسة فيَّاضة، حتى مثلوا أمام اللواء والتفوا حول طاولة الاجتماعات؛ فبادر هشام:

- خير يا فندم؟

اللواء بوجوم:

- للأسف مش خير أبدًا يا هشام.. اتفضل شوف.

تناول منه هشام مظروفًا كبيرًا به ملف وبعض الصور، تفحص هشام الصور بعناية تحوّلَت بعد ذلك إلى الشدوه، ثم فتح الملف يقرأ ما به، وكان هناك صورة من جواز سفر لفتاة أسبانية تدعى هيلين روماني.

عبسَ هشام وأردف:

- دي.. كارولين!

هزَّ اللواء رأسه موافقًا، ثم قال: بالظبط، كارولين.. دخلت مصر للمرة التانية، بس المرة دي بباسبور أسباني وبشخصية تانيةتمامًا.

سامر باستخبار: هي مين كارولين ولا هيلين دي؟

اللواء:

- دي بنت محترفة في الإجرام، بتستأجرها أي مافيا لتخليص مهمات في دول مختلفة، دخلت مصر من سنتين كسائحة عادي بباسبور يحمل الجنسية التركية، وبعد كده اكتشفنا إنها تابعة لتنظيم إرهابي مموّل من الخارج، وكانت مهمتها تهريب السلاح، قدرنا نحبط العملية الإرهابية، لكن للأسف ماقدرناش نمسكها، وعلى الأغلب هربِت عن طريق الأنفاق، الجدير بالذكر بقى إن البنت دي بتتكلم مصري كويس جدًا، وكل دولة بتسافر لها بتتقن لغتها بلهجات مناطقها المختلفة باحترافية، وده بيخلّي من الصعب الناس تتعرف عليها على إنها أجنبية.

هشام: طب وإيه هدفها المرة دي يافندم؟

اللواء: ده اللي لازم نعرفه يا هشام في أسرع وقت، الملف اللي معاك ده فيه تقرير عنها من ساعة ما خطّت مصر لحد اللحظة اللى بتتكلم فيها دلوقتي، وده شريط فيديو من كاميرات المطار.. اتفضّل اعرضه.

وضع هشام الشريط في الجهاز الخاص بالعرض؛ فانتقل ما به إلى الشاشة الكبيرة يعرض تسجيلًا لكارولين في المطار بعدما تسلّمَت حقيبتها، واتجهت إلى الخارج لتستقل إحدى السيارات، حينذاك بزغَ في الكاميرا شخصٌ من ظهره يقف في انتظارها يرتدي تيشيرتًا يغطي رأسه، بدا أنها تعرفه، ومن ثمَّ ركبا السيارة سويًا، وانطلقا بها.

أوقف هشام التسجيل، بينما هتف اللواء بلهجة آمرة:

- المطلوب دلوقتي تعرفولي هوية الشخص اللي استقبلها في المطار، والهدف اللي جات عشانه كارولين.

هشام: تحت أمرك يا فندم، هدرس الملف كويس وأبلغ سيادتك بالجديد.

اللواء: تمام.. اتفضلوا.

طرقَت منيرة باب الغرفة؛ فأغلق اللوح، وفتح لها الباب:

- خد يا حبيبي الشاي أهو.. أنا هدخل أنام بقى.
- تسلم إيدك يا حبيبتي، تصبحي على خير.
- وانتَ من أهله يا حبيبي.

أغلق على نفسه الباب مرة أخرى، وأطفأ نور الغرفة إلا من الضوء الخافت للأباجورة بجانب سريره، وأشعل سيجارًا جديدًا، ومدّد جسده على فراشه مستندًا بظهره إلى الوسادة يفكر في الأمور الطارئة حديثًا على قضيته، وعلاقتها بالأمور المعروفة سابقًا، ينفثُ دخان سيجاره، ويلحقه بجرعة من الشاي الساخن، انتهى من الشاى واستكمَلَ سيجاره ممسكًا بقفل الأباجورة، يغلقُه ويفتحه مرارًا، وفي كل مرة يضيئها يظهر له في الأفق مشهدًا استدعاه من عقله الباطن، وبالمزيد من التفكير والتدبير حول نظرية المؤامرة استطاع أن يربط بعض الخيوط ببعضها، لكن ما زال هناك البعض الخفيّ غير قابل لوضوح العلاقة بينهم، ومع ذلك اكتفى بما أدركه بعدما شعر بألم حاد في رأسه كاد يفتكُ به جرّاء بحرٍ من الأفكار يخفقُ فيه؛ فاستسلم إلى نوم عميق.

*****

في تلك الأثناء في مكتب هشام، كانت تقبع جنة على أريكة جلدية، لم تتحرك عنها مُذ أن دلفت إلى تلك الغرفة، تتفقّد بعينيها محتوياتها من قطع الأثاث كالمكتب، وخزنة الملفات، والأريكة التي تجلس عليها، إلى جانبها مقعد وثير، ثم راحَت عيناها تجُول بين النافذة الوحيدة بالغرفة، والتي كانت خلف المكتب تمامًا، والديكور الأزرق للغرفة مطعّمٌ ببعض القطع الأنيقة.

بعثَت الغرفة بعض الهدوء والسكينة بقلبها؛ فكانت على خلاف تلك الغرفة المقيتة المظلمة للتحقيقات، والتي كانت أشبه ما يكون بالكهف المظلم، أخذَت جنّة نفَسًا عميقًا تهدِّئ به جوارحها، ونزلت عن أريكتها تجرّ قدميها المثلجتين بلا هدى، فقط أرادت أن تتعرف على المكان الذي أُرغِمَت على زيارته، وليتها تدري إلى متى ستطول إقامتها به.

وجَّهها فضولها نحو المكتب المرتب؛ فسارت نحوه تتلفَّت حولها لا إراديا خوفًا من أن يراها أحدهم بغتة؛ فتلبس قضية أخرى لا تدري مغزاها، لم يكن بينها وبين المكتب سوى قدمٍ واحدة تجوس سطحه بعينيها، لم يكن هناك سوى حامل الأقلام، وهاتف، وقدّاحة فضّية نُقِش عليها صورة بارزة لمحارب مغوار، وطفاية سجائر، ودِرع يحمل اسم صاحبه بتعالٍ وكِبر، مدَّت يديها المرجفتين وحملتْه تنطق ما كُتِب عليه "الرائد / هشام العجمي".

زمَّت فمها غيظًا وكمدًا، تستذكر لحظات قسوته وعنفه بدءًا من قبضِه عليها بالمحطة وحتى انتهاء التحقيق الذي لم ينتهِ بعد على حدّ قوله، تمنَّت لو

بإمكانها تفريغ شحنة غضبها ولو بالسباب، لكنها خشَت رهبة المكان المتواجدة بداخله؛ فوضعت الدرع مكانه بحنق، كاد ينزلِق من بين يديها، لكنها لحقَتْهُ بقلب خافق وعدّلت من وضعيته.

اتجّهَت بعد ذلك إلى الشرفة خلف المكتب تطالع من خلف زجاجها الفضاء، ثم لفَتَ نظرها تلك الإطارات على الحائط المجاور؛ فراحت تتفقّدها وجدتها شهادات تقدير؛ منها الأكاديمية، وأخرى رياضية، وبعض الصور مع القامات المهمة في الدولة.

راحَت تحدّق في ذلك كله بانبهار لا شعوري، تظن أن شابًا مثله لا بُدّ وأنه فخور بنفسه، وربما ذلك ما يجعله ينتهج سلوك الطاووس؛ فهَمْهَمَت بداخلها بغيظٍ: "طاووس".

عادَت إلى أريكتها تدبُّ الأرض من تحتها حتى استقرَّت في جلستها، تضم ركبتيها إلى صدرها، مستندة برأسها عليهما؛ فباغتَتْها دمعة هاربة على خديها؛ فجاء على بالها أوّل من يظهرَان في الأفق حينما تداهمها مشكلة؛ وهما والداها، اللذان تلتجئ إلى حضنيهما في السراء والضراء؛ فهما ملاذها الوحيد في تلك الحياة، ومن ثمَّ فاضَت عيناها بمياه بحرها، لكنها سرعان ما اعتدلَت في جلستها ومسحت دموعها بإصرار، تحدّث نفسها بعزم: "لازم تبقِي قوية يا جنّة، ماينفعش تضعفي، كده هيشكّوا فيكِ أكتر.. انتِ أصلًا مش عارفة انتِ هنا ليه! بس انتِ متأكدة إنك ماعمَلْتِيش حاجة غلط، وربنا مابيرضاش بالظلم، إن شاء الله هتخرجي من هنا في أقرب وقت".

أمالت برأسها على كتفها تدعو ربها أن يخلّصها مما هي فيه ويصبّر والديها على فقدها، ويهدّئ من روعهما، ثم أخذت تستغفر ربها آملة أن يفرّج كربها كما أخرج يونس من بطن الحوت، حتى نامت وشفتاها تتمتم دعاءها.

*****

في مكان آخر..

منطقة نائية ملحقة بالمنيل، أيضًا لا يسكنُها الكثيرون، كان ثمّة منزل مؤلَّف من طابقين يقع على ضفة نهر النيل بعيدًا عن الأنظار، طرَقَ بابَه شخصٌ ما، انتفضت كارولين ونهضَت بتوجّس، واستقرت بأذنها خلف الباب القديم متسائلة:

- مين؟

أتاها صوت مألوف:

- افتحي يا كارولين.

فتحَت له الباب، ودلف مغلقًا إياه من خلفه، كانت عيناه تشعّ غضبًا، يطالعها بسُخط، ثم قال بلهجة حازمة:

- أظن أنا كده عملت اللي عليّا، ومش مسئول عن اللي هيحصل من بعد اللحظة دي.

ابتسمت كارولين بتهكم قائلة:

- مش بعد اللي حصل، الأوامر جَات إنّك تساعدنى لحد ما أنفذ مهمتي وأخرج من مصر بأمان.

وصل مسامعها احتجاجا فظًا:

- نعم؟! وأنا مالي، دي كانت غلطتك انتِ لما كلمتيني من تليفون الفندق، ومن ساعتها وأنا بلمّ من وراكِي.

كارولين بلا مبالاة:

- مش مهم غلطة مين، المهم هو إنك تساعدني أخلّص اللي جِيت عشانه، وإلا حسابك مش هيدخل فيه دولار واحد.

رمقها باحتقار واستشاطة قائلًا:

- والمفروض إني أعمل إيه دلوقتي؟

ردت عليه كارولين متسائلة:

- قولّي عملوا إيه في البنت اللي قبضوا عليها بدالي؟